(١٢)

العبد الحق
هو هبة لمن عرفه
إلى عينه يؤول متابعه ليتصفه

حديث الجمعة

٥ شوال ١٣٨٢ هـ - ١ مارس ١٩٦٣ م

ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر. علمت نفس ما قدمت وأخرت. ضالا فهدى، وعائلا فأغنى، ويتيما فآوى. كشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد. لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وفي أنفسكم أفلا تبصرون. قائما على كل نفس. أقرب إليها من حبل الوريد. سمعت فأجابت، وعملت فآمنت، وآمنت فسارت، وسارت فأيقنت، وأيقنت فحققت. غفرانك ربنا وإليك المصير، وجد الله عنده. أفتمارونه على ما يرى فشهده لا إله إلا الله، يوم شهده لا إله إلا الله، وشهد محمدا رسول الله، يوم شهده محمدا رسول الله، فعلم أن فيه رسول الله وأنه في رسول الله، بأن فيهم رسول الله، ثم أدرك أن رسول الله في قائمه، كما في قديمه وقادمه، هو الحق من الله للناس.

قام الإسلام على مشاهدة لا إله إلا الله، في النفس ومن الحول، في العمل والقول، في القديم والقادم والقائم، يوم شهده المسلم والمؤمن، وقامه العارف والآم لا إله إلا الله، فعرف الإنسان أنه عالَم يوم كان عبدا لله، فطلب الأكبر من الله، فشهد رسول الله أولى به من نفسه، وأقرب إليه من حسه، فعلمه محمدا رسول الله، فعرج من لا إله إلا الله إلى الله أكبر، فعرف أن الأصغر والأكبر في لا إله إلا الله، وأن الأصغر والأكبر في الله وجه الله، فعرف الله يوم عرف نفسه، وعرف نفسه يوم عرف رسول الله، وعرفهما الله ورسوله في نفسه، وفي الأكبر من نفسه لنفسه على نفسه، في معنى نفسه، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، فكان ذلك هو طريق معرفته إلى الله، وطلبه لله، وقيامه بالله، وبدايته في الله، ونهايته في الله، لا بدء لبدايته في الله معروفا عنده، ولا انتهاء لنهايته في الله معروفا عنده في معرفته عن نفسه، ومعرفته عن قلبه، ومعرفته عن معناه، ومعرفته عن روحه، ومعرفته عن ذاته، ومعرفته عن ظلامه، ومعرفته عن نوره، ومعرفته عن أحديته، ومعرفته عن

واحديته، في معرفته لذاته، ومعرفته لصفاته، واجتماعه بصفاته على معناه لذاته، وفيض من ذاته بربه على صفاته، لربه لا يعرف له وجودا إلا وجود الله، ولا يعرف له شهودا إلا شهود الله، ولا يدرك وجوده إلا بالله، ولا يشاهد شهوده إلا بالله، فيشهد أنه لا إله إلا الله، ويشهد أنه محمدا رسول الله يوم يعلمه قائما بالله ورسوله.

بهذا أسفر محمد لمحمد، وتكشف محمد لمحمد، وأقول أسفر ولا أقول جاء، فإن الذي جاء إنما هو السفور، كشفنا عنك غطاءك. إن الذي حدث، إن الذي كان محدثا بالنسبة لمحمد إنما هو كشف الغطاء له عنه، وبذلك عرف القائم معنى قيامه، وعرف الموجود معنى وجوده، وعُرف المشَاهَد في المشاهِد، ففنى شهوده وظهر وجوده يوم أبرز مبدع الفطرة ثمرة الفطرة، وما أبرزه إلا في كشف الغطاء عنه له، أما من حيث وجوده، فقد كان موجودا متكاثرا بمعناه وبوجوده قبل وجوده مكشوف الغطاء عنه، منعكس البصر إليه، وإلى قديم وقادم نفسه.

إن قائم محمد في دوام كما عرف وبشر وقد كشف له الغطاء عن نفسه في سلام، فعرفه وعرَّفه أمرا قائما في الوجود، ما حدث وما قام، إنما هو أمر في الوجود قائم، بأزل له لا يعرف له بدء، منبعث بأزله من خلال قائمه في دوام، في أبد لا يعرف له انتهاء، بسرمدي قائمه، تكشف قديمه من خلاله في قادمه، وعُرف القديم والأبدي لكل قائم ما عرف قائمه في قيامه، وعرف سالمه في سلامه، مؤمنا به عبدا وربا، ومؤمنا به نفسا وغيرا، مؤمنا به لأنانيته، ومؤمنا بأنانيته، أنانية صغيره فيه لأنانية كبيره من الحق به، لأكبر وأكبر لمعناه لا جز لعطاء، ولا انتهاء لولاء، ولا توقف لسعي أو لمعراج. يتجدد الإيمان بالله ورسوله كلما تجددت النفس، وكلما تجددت الذات، وكلما تجدد الوعي، وكلما تجدد العقل، يرتقي الحي بهما فيهما في الحياة مع أنفاسه بشهيق مستمد، أو بزفير محيي ممد. يرتقي الإنسان الحي فيهما في الحياة مع دقات قلبه بالحركة وبالحياة، يعلم أن الحياة مرتقىً عاليا لا ينتهي ارتقاؤه، وأن فقدانها هاوية سحيقة لا قرار لها، وأن من عرف الصعود لا يأمن انزلاق القدم، فليستيقظ الصاعد من زلة القدم، وأن من سقط في الهاوية، وعرف طريق الندم، لا سبيل له للنجاة، إلا أن يسقط على يد الله، فيد الله أعلى من كل عال مظلة، وأسفل من كل سافل مقلة، وأن يد الله ملبية لمناديها، ما ناداها بالقلب صادق النداء، صافي الولاء.

هذا كله جاء به الإسلام مع محمد، وبهذا كله دارت رحى الإسلام في العقيدة والعقل، بما كشفه لنفسه محمد، عبدا مسلما لمشهود ربه، مؤمنا بقيام حقه، صادقا في جهاد فعله، صديقا لموعود أمره، أيقن بالله معية نفسه، كان ضالا عن نفسه منه، فكشف له الغطاء عنه، فإليها هدي، من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، عرف نفسه فعرف أن مشيئتها من مشيئة ربه، وقدرتها من قدرة ربه، وفعلها

من فعل ربه، وقيامها من قيام ربه، وأن اهتداءها إليها من رحمة ربه، وأن ضلالها من فتنة وحكمة ربه، نفسا وما سواها ألهمها فجورها وتقواها، هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، فعرف أن من ضل إنما يضل عليها، وأن الضلالة إنما هي شهوات النفس، وشهوات الذات، وزلات العقل، حفت النار بالشهوات، يتساقط فيها أهل الشهوات، وحفت الجنة بالمكاره، يباعدها أهل العجلة، ويحظى بها أهل الصبر. عرف ذلك في أمر نفسه، وعرف أن النفس ما قامت على قطيعة، كان كل ما صدر عنها معيبا وباطلا، وإن كان منسكا وعبادة وعطاءً، فإن كان صوما فجلادة، وإن كان صلاة فعادة، فقال لا يدخل الجنة أحدكم بعمله، حتى أنت؟ حتى أنا إن لم يتغمدني الله برحمته، فيا قومي اعملوا.. كل ميسر لما خلق له، ويا قومي اعملوا.. فإنكم بعملكم تتعرضون لنفحات الله، وأخلصوا النية فإنما الأعمال بالنيات ونية المرء خير من عمله، وذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح، وإن لله في أيام دهركم لنفحات فلا تفوتوها، وتعرضوا لها بالبحث عن عباد الرحمن بينكم، فهم وجوهه، وهم أياديه، وهم أحواض رحمته، وهم أنوار طلعته، ولا تأبهوا للمناظر، ولا تباعدوا بينكم وبين الجواهر، فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.

إن عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وهم جذوة الحياة لكم به، وهم ماء السماء يتساقط على أرضكم منه. لا إله غيره ولا معبود سواه، فاستقبلوه عباد رحمته وحكماء كتابه، واعلموا أن ما قبلي قائم بينكم، أنتم اليوم بعثه، وهو عين ما بعدي، يقوم بينكم أنتم في غد بعثكم، واعلموا أن عيني من قائمي إنما هو مرادكم لعينكم من قادمكم، وهو منشود من قبلكم لأنفسهم فيما بعدهم يحققونه لأنفسهم اليوم متابعي ليقوموا به من خلالي فيما بعد قياما بي، وقياما لهم وجديدا منكم، وأنكم إن فاتكم قيامي في قيامكم في متابعتي، فلا سلام لكم إلا بتكاثر لي بكم، وسلام مني عليكم، هو سلام الله لكم يوم ينظر إليَّ في قيامكم، قائما بكم بجديد لكم مع جديد لي من أنفسكم، هو{الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[1]. هذا قانون دائب دائم عامل فقم وهيئ السبيل لنفسك في جديدها، وانحر نفسك في قديمها في غفلتهم، وابعث نفسك بكوثرها في قادمهم وجديدهم، صلي لربك وانحر، امحُ غيريتهم عنك لعينيتهم بك، وقل جاء الحق وزهق الباطل والله أكبر، حتى يقولوا أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع.

إن ما قام به محمد مسفرا به ببلاغه، يوم كشف عنه غطاؤه له فعرف أنه كان في معاني الحق قائما به قبل أن يكشف له غطاؤه، قامت البشرى به من الله للناس مسفرا بها، فعرف أنه سيبقى مسفرا بالحق مدثرا بجلابيب الخلق بما ضاعف له من نوره نورا على نور على دوام في الله بدوام الخلق فيه، فقال: لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة، الخير في

وفي أمتي إلى قيام الساعة، يقوم ويتقلب في الساجدين بتكاثره بكوثره. لقد علمنا محمدا معنا في دوام، وأسفر بيننا بمعناه حقا من الله بسلام، أظهره على الدين كله وأظهر مظاهره على الدين كله، وأعمله في موقفه من حياته تلك وفي كل تجدد بحياة له ما كان، وما هو كائن، وما يكون، فكان عنده لما هو كائن مما كان بدء، وكان عنده لما هو كائن فيما يكون انتهاء، وكان ما كان من هذا البدء هو عين ما يكون لهذا الانتهاء، وإنهما لحاضره حدود ما كان وما يكون له مما كان به كائن. لقد كان ما كان بدؤه بجديد لقديم بالحق، وعرف أن ما سيكون يكن انتهاؤه بجديد بدء بالحق، معالم كائنه من قائمه بمعنى الحق، وعبده وإنسانه، وأنه في وحدة ذلك بأحدية ثالوثه كان على ما هو كائن قائما يتكاثر، ويكون على ما كان مما هو كائن قادما يتكاثر.

هكذا هو حق دائما يبدأه السفور وتنهيه الكنزية والغيب. يبدأه السفور يوم يستخلف الموجود من الأقدم، وتنهيه الكنزية والغيب يوم يستخلف الحاضر منه من الأحدث. بهذه المعرفة تحددت معالم إنسان الحق، وبها عرف معنى البدء للخلق، وعرف معنى السفور بالحق، لمن وصف بالخلق، وبذلك ظهر الدين كله بمن أظهره الله على الدين كله، وظهر الحق كله بمن أظهره الله على الحق كله فكان الإسلام دين القيمة، ودين الفطرة، وقيام العباد الحق لعالم الرشاد، فكان الله بطلعته لمطلقه بالأقدس هو إنسانه عالم الغيب والشهادة، العَلم على الأقدس بالله أكبر، والعلم للذات المقدس للوجود بلا إله إلا الله، فعَرف الإنسان أنانيته بالحياة لأنانيته بالقيوم عليها من الإنسان، بالله أكبر. عَرفَ الإنسان الله في معرفته بنفسه إنسانا لا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء ربه، إلا بما شاء الأكبر، إلا بما شاء من هو على صورته، إلا بما شاء من تجلى بجديد خلقه علما على قديم حقه، ومن أوجد بخلقه جديد خلق ليجعل من الخلق قديم حق على الخلق، وبذلك تعارف الله إلى الله، في فطرة الله، في دين الله، في قانون الله، في ناموس الحياة، فقالت البشرية الحمد لله، وشهدت لا إله إلا الله، وقامت محمدا رسول الله، فأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين.

اللهم يا من أشهدتنا وحدانيتك، بوحدانيتك، في وحدانية لا إله إلا الله، ندخل حصنها ونُدرك أمنها وسلامها. اللهم فأتمم علينا نعمتك بشهادة الله أكبر في شهادة محمد رسول الله، حقا من الله، وقائما من الله، في قيامنا، وأعلمنا أن فينا رسول الله، على ما أعلمتنا يقينا وحسا، وإيمانا ووجدا، وسلاما وحبا، وقياما ورحمة ورضوانا، لا إله إلا أنت، ولا إمام لنا إلا رسول رحمتك. اللهم خذ بنواصينا في معراج عطائك غير مجذوذ، فاعرج بنا في معراج لا إله إلا الله، وأعرج بنا فيها إلى محمد رسول الله في أنفسنا، وأعرج بنا فيه، بك إلى الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ولا إله إلا الله.

اللهم اجعل من لا إله إلا الله بداية شهودنا، وبلا إله إلا الله نهاية وجودنا، واجعل فينا منا لنا الله أكبر والله أكبر والله أكبر، عطاءا غير مجذوذ، وشهودا غير منقطع، وتجليا غير متوقف. اللهم بدين الفطرة فأقمنا، وفي دين الفطرة فسر بنا، وقيام الفطرة فأقمنا، يا فاطر السموات والأرض، يا صبغة السموات والأرض، ومن أحسن منك فطرة، ومن أحسن منك صبغة.

لا إله إلا الله قلنا وقمنا، ولا إله إلا الله نطمع أن نقول ونقوم، ولا إله إلا الله شهدنا، ولا إله إلا الله نطمع أن نشهد، اللهم فأنطقنا نطقا منك حقا وصدقا، وأشهدنا شهودا بك حقا وصدقا، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

أضواء على الطريق

(هذه الحقائق التي نعلنها قد جاءت بالمعرفة والراحة والفرح لكثيرين لم يكونوا يعرفون أين يتجهون).

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩